وتحليلها ، وكيف ان هذه المحاولات كلها كانت قاصرة تردّ ما حدث الى عامل آخـــر دون ان تكشف مساهمة العوامل كلها ومدى ترابطهـــا ، فمنها ما يرد الامر الى تآمر الاستعمار ومنها ما يحصرها بخيانة الحكام ، ومنها مـــا يذهب الى الاشادة بالحركة الوطنية في فلسطين دون ان يحللها ويدرس تجربتها ، ومنها مـــا يلقي المسؤولية على شعب فلسطين دون الاهتمام بالظروف التي احاطت بقضية فلسطين وهو بعد ذلك يعرض رأيه ويردّ ما حدث الى اربع مجموعات من العوامل مترابطة متفاعلـــة : الاولـــى تتعلق بالظروف الدولية بعد الحرب الثانية ، والثانيـــة تتعلق بظروف الوطن العربي المستعمر او شبه المستعمر وقياداته العميلة ، ومنها ما يتعلق بعرب فلسطين الذين لم يكونوا منفصلين عن هذا الوضع ونضالهم بعض من النضال العربي ، وفئاتهـم القائدة اجتماعيا وسياسيا مثل كل الفئات القائدة في البلاد العربية من حيث تخلفها وجهلها وقصر نظرها ، وتهافتها على مصالحها المباشرة • اما المجموعـــة الرابعة فتتعلق بالقيادة السياسية في فلسطين وما كانت عليه مـــن تخلف فكري وثقافي ، وميل الى المساومة النظرية والعملية ، وضيق أفق وقصر نظر ، ممـــا جعلها تفشل دوليا وعربيا ومحليا ، بينما نجح خصومها الصهاينة على كل الجهات •

هذا الفصل خلاصة فكر الكاتب وقناعاته التي سعى الى توكيدها بالادلة ،لكن بعضا مما جاء فيه ، من انتقاد المحاولات الاخرى التي سعت الى التقييم والتحليل وقـــع في خطأه وتعميمه مثلها • فافتقر كتابه في بعض جوانبه الى شيء مـــن الموضوعيـــة او على الاقل الانسجام مع العنوان الذي وضعه لكتابـــه • اذ يوحي العنوان ان الكتاب سيعطينا صورة متعددة الالوان والجوانب لهذه المقاومة ، بما فيها من صفحات سوداء قاتمة ، وما فيها من صفحات مشرقة ، ولكن القـــارىء يخرج وقد غشت عينه سحابة قاتمة من الاسى يدفعه اليها تركيز الكاتب تركيزا مكثفا على القيادات وفضح بنيتهـــا وتعاملها • صحيح انه ، يسعى الى تقييم الماضي من اجـــل الحاضر ، واستخلاص دروس التجربة لنعرف مواطيء اقدامنا في نضال اليـــوم وثورته وكفاحه ، لكن هذا التقييم يجب ألا يدفع الى اليأس او التشاؤم • فجيل فلسطين المكـــافح اليوم يجب ان يميز الطيب من الخبيث ، ويتعلم من اخطاء الماضي ، وليس النظـــر الى الماضي بعين التعميم وفتح الصفحات السوداء منه فقط ، واغفال ما فيه من اشراق حتى على قلته•